فنون الشعر الجاهلي (أغراض الشعر وفنونه)

الاغراض هي الموضوعات التي يتناولها الشاعر عرضا في قصيدته ، وهي عادة ((امور ممهدة)) للفن ((الغرض الرئيسي)) الذي يومي اليه الشاعر ، ولقد كان الوصف والنسيب في القصيدة الجاهلية غرضين رئيسيين فيها . واغراض الشعر الجاهلي كثيرة منها :

1ـــــ الغزل : أهم الفنون , وابرز الموضـــوعات وأعلقها بالقلب وأقربها إلى طبيعة الإنسان هو فن الغزل , وقد لقيَ الغزل عناية كبيرة من الشعراء , سجلوا فيه عواطفهم وخواطرهم , تنالوا المرأة فذكروا محاسـنها وصـفاتها وسـحرها , وما يفعل فيهم من الشـوق والحنين , ولم يحفل العرب بشـيء احتفالهم بالغزل , سـواء أكان صـادراً عن القلب تفرد له القصائد أم كان تقليداً مستحباً تفتح به المطولات ويستراح إليه بعد رحلة الشعر .

وترد في هذا المجال كلمتان مع الغزل ,هما النسيب والتشبيب وكلها مستعملة في الموضوع نفسه , فهل لكل منهما مدلول معين , أو أنها استعمالات لمدلول واحد ؟

يقول ابن سيدة :" إن الغزل تحديث الفتيان الجواري , والتغزل تكلف ذلك , والنسيب التغزل بهن في الشعر , والتشبيب مثله" **وفي اللسان** :" والغزل حديث الفتيان للفتيات , واللهو مع النســـاء , ومغازلتهن : محادثتهن ومراودتهن والتغزل : التكلف لذلك , **وفي المثل** : هو اغزل من امرئ القيس , . وحاول بعض القدامى أن يعطى كل كلمة مدلولاً مختلفاً , **فقال التبريزي** : " النسيب : ذكر الشاعر المرأة بالحسن والإخبار عن تصـــرف هواها به , وليس هو الغزل , وإنما الغزل : الاشـــتهار بمودات النســـاء والصبوة إليهن , والنسيب : ذكر ذلك والخبر عنه " . **أما قدامة بن جعفر** يقول :" إن النســـيب ذكر أخلاق النســـاء وأخلاقهن وتصـــرف أحوال الهوى به معهن , والفرق بينهما أن الغزل هو المعنى الذي إذا اعتقده الإنسان في الصبوة إلى النساء نسب بهم من اجله فكان النسيب ذكر الغزل , والغزل المعنى نفسه , والغزل إنما هو التصابي والاستهتار بمودات النساء " .

يقول ابن رشيق :" والنسيب والتغزل والتشبيب كلها بمعنى واحد " .واخف الكلمات وأكثرها شيوعا واستعمالا هي الغزل فعليها المعول .

وكان من شغفهم بالغزل أن جعلوه أول موضوع يبتدئون به القصائد الطوال , سواء أكانوا يذكرون الغزل مباشـــرة , أم يذكرون الديار ديار الحبيبة , لتنقلهم إلى ذكرها والتغزل بها وســـرد ذكرياتهم وأيامهم , وقد لاحظ القدامى ذلك , فقال ابن قتيبة :" وســـمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصـــد القصـــيد إنما ابتدأ بذكر الديار والدمن والآثار , فبكى وشـكا وخاطب الربع واسـتوقف الرفيق ليجعل ذلك سـببا لذكر أهلها الظاعنين عنها ".

والمرأة هي موضوع الغزل وقد تعارف الجاهليون ـ ومن جاء بعدهم ـ على مقاييس في الجمال أحبوها في المرأة وصورها أكثر من شاعر. والشاعر البدوي كان يسلك

سبيل الغزل الصريح الذي يجسد من خلاله الصفات الجسمانية البارزة في المرأة ، اذ كان يحب المرأة الفخمة الممتلئة والتي تعجز ان تنهض من الارض الا بمعونة جواريها ، وكذلك كانوا الحور (شدة البياض في بياض العين وشدة السواد في سوادها) ويحبون كذلك الشعر الكثيف .... اما اهل الحضر فكانوا يحبون المرأة العبلة التي لا تبلغ في السمن كثيرا" وقد ذكرها امرؤ القيس في معلقته : ((مهفهفة بيضاء غير مفاضة)) اذ يقول :

مهفهفةٌ بيضاءُ غيرُ مُفاضةٍ ترائبها مصقولةٌ كالسَجنجـــلِ
وجيدٍ كجيدِ الرئمِ ليس بفاحشٍ إذا هـــي نصَتـــه ولا بمعطَـــلِ
تضيء الظلامَ بالعِشا كأنهـا منارةُ مُمسـى راهـبٍ مُتبتـَـلِ

وعلى الرغم من جرأة أمرئ القيس وما عرف عنه في الأوصـــاف الحســية في تصوير جسم المرأة والمجاهرة بالخلوات , ومثله عمرو بن كُلثُوم , إلا أنهم لم ينسوا الجوانب الاخلاقية والنفســية , فقد ذكروا المرأة بالحياء والعفة والتمنع , ومن ذلك ان الأعشى يصف حبيبته هريرة بأنها حبيبة إلى الجيران كما هي حبيبة إلى نفسه , وهي عفيفة كتوم السر لا تفضح أسرار جيرانها :

غراء فرعاء مصقول عوارضها تمشي الهوينا كما يمشي الوجي الوحل
كأن مشيتها مـــن بيت جارتها مـــر السحابة ، لا ريـــثٌ ولا عجـــــل
ليست كمن يكره الجيرانُ طلعتَها ولا تـــراها لســـر الجـــار تختَتِـــــلُ

وهناك طائفة من الشعراء لم ينصرف همهم إلى وصف محاسن المرأة وأعضائها , بل راحوا الى تصور ما يلقاه العاشق المحب من شوق ووجد وهيام , وما يعانيه من الم ولوعة البعاد , وكيف يسهر الليل ويراقب النجوم , كقول سويد بن أبي كاهل :

هيَجَ الشوقَ خيالٌ زائرٌ من حبيب خَفِرٍ فيه قَـدَع.

2ــ الوصف : من الفنون البارزة التي برع فيها الشعراء الجاهليون , وصفوا الطبيعة ممتلئة في حيوانها ورياضها ونباتها وديارها وإطلالها , وتأملوا في امطارها وسحبها وبرقها وظلامها فرسموا من ذلك لوحات ناطقة بالفن الأصيل .

وكان للحيوان اكبر الأثر في حياتهم , وهو اقرب إلى نفوســهم وعواطفهم , فقد اعتنوا به عناية خاصــة , وصـفوا جسـمه وقوته وصـفاته وعاداته وحركته وطباعه , حتى عرف بعض الشعراء بالإجادة في وصف حيوان واحد والتدقيق في وصفه , فقد برز في وصـف الخيل : امرؤ القيس والطفيل الغنوي والنابغة الجعدي , وفي وصـف الناقة : طرفة بن العبد واوس بن حجر , وفي وصـف الحمر الوحشـية : الشـماخ , اما الاعشى فقد برع في وصف الخمر وذكر مجالسها .

ولعل الناقة هي ابرز الحيوانات التي عني بها الشاعر الجاهلي , فهي مصدر الخير والشر والرزق ورفيقة السفر الصـبور تقطع الفيافي وتجاب الفلوات دون كلل أو ملل , وقد وقف الشعراء يتأملون فيها , فوصفوا جسمها القوي الضخم وشبهوه بالقصر, والقلعة الضــخمة , والصــخرة الصــلبة , ودققوا في أعضــائها فلم يغادروا عرق ولا عصبا إلا وصفوه أدق وصف , ونظروا في سرعتها ونشاطها وعاطفتها وحنينها , فعبروا عن إحساساتها ومشاعرها بعاطفة إنسانية .

وأوصــاف الناقة لدى الشــعراء تكاد تكون متشــابهة , فهي قوية متينة صــلبة قبل الســفر , وهي نحيلة مهزولة بعد أن قطعت الفيافي وجابت الفلوات في حر الهواجر وقر الشــتاء . ولم يقف احد عند وصــف الناقة وقفة طويلة متأملة مثل طرفة بن العبد في معلقته , فقد رصد لها ثمانية وعشرين بيتا على شاكلة قوله :

واني لأُمضِي الهمَ عند احتضاره بعوجاءَ مرقالٍ تروح وتغتدِي
امونٍ كألواح الاران نسأتُهــا على لاحب كانه ظهرُ بُرْجـُدِ
تباري عناقا ناجياتٍ واتبعــت وظيفا وظيفا فوقَ مَورٍ معبَـدِ

فنراه يشبه عظامها العريضة بألواح الاران وهو تابوت السادة الأشراف , وشبه طريقها بالكســاء المخطط , ثم يتناول فقارها وعنقها وجمجمتها ومشــفرها وعينيها , كل ذلك بما اتفق له من بيئته من محسوسات , حتى ينتهي به المطاف ان يقول :

على مثلها امضي إذا قال صاحبي إلا ليتني أفديك منها وافتدي

أما بقية الشعراء وصفوا الناقة وصفا مباشرا , ولكنهم لو يطيلوا في ذلك , آثروا أن يتحدثوا عن صفاتها وأحوالها النفسية و عن طريق تشبيهها بالحيوانات الأخرى.

ولم يعن الجاهليون بحيوان عنايتهم بالخيل , فهي حبيبة إلى نفوســهم عزيزة عليهم , يكرمونها ويأثرونها بالطعام والشراب , وهي زينة الفارس يمتطيها في نزهه وصيده , وكانوا يقربونها عند بيوتهم ولا يرسلونها ترعى مع انعامهم حبا في المحافظة عليها يقول عنترة :

مقرَبة الشتاء ولا تراها وراءَ الحي يتبعها المضهارُ .

ولشدة عنايتهم بأنسابها وطباعها , فقد ألفوا في ذلك كتاب " انساب الخيل في الجاهلية والإسلام " لابن الكلبي . والخيل للأصمعي , والخيل لأبي عبيدة .

فأما فرس امرئ القيس الذي يبكر قبل استيقاظ الطير , فهو ضخم عظيم الجسم قصير الشعر سريع العدو , يكر ويفر ويقبل ويدبر كأنه صخرة قذفها السيل من شاهق , كميت اللون يضرب الى الصفرة التي يخالطها الأحمر, أملس الظهر صقيل المتن بحيث يزل عنه اللبد لنعومته وقوته وهو بعد ذلك كثير النشاط سريع الحركة , كالقدر حين يغلي :

وقد أغتدي والطيرُ في وُكِناتها بمنجردٍ قيدِ الاوابد هيكلِ .
مِكرٍ مفرٍ مقبلٍ مدبرٍ معاً كجلمود صخرٍ حطَّه السيلُ من علِ
كُميتٍ يزلُ اللَّبدُ عن حالِ متنه كما زلتِ الصَّفواءُ بالمتنزل

ووصفوا الثور والبقرة الوحشية , وأكثر ما يرد ذكرهما في سياق قصة من القصص , يستطردون إليهما حين يتحدثون عن الناقة فيشبهونا بهذه البقرة او ذاك الثور , أو البقرة التي افترس السبع ولدها , فيروون قصتها الحزينة المؤثرة .

وابرز من صور حزن البقرة على ولدها الذي أكلته السباع . لبيد في معلقته وكذلك فعل زهير وكذلك الأعشى الذي ساق قصة البقرة وصراعها مع كلاب الصيد الكاسرة , ويتحدث الأعشى عن الوحوش التي تفترس ولد البقرة حين تواتيها الفرصة في غفلة من أمه , ثم يصور حال هذه البقرة التي كانت راتعة مع القطيع , فلما امتلأ ضرعها باللبن طلبت فصيلها لترضعه فلم تجد منه غير بقايا عظام ودم مسفوح , وباتت ليلتها حزينة ثكلى ، قال الاعشى :

حانت ليفجعَها بابن وتطعمه لحما فقد أطعمت لحما وقد فجعا
فظل ياكلُ منها وهي راتعةٌ حَدَّ النهار تُراعي ثيرةً رتَعا
حتى إذا فِيقةٌ في ضرعها اجتمعت جاءت لترضع شِقَّ النفس لو رضعا

وقد تناول الشعراء الجاهليون كل ما وقعت أعينهم عليه من حيوان الصحراء , فقد وصفوا الذئب والقطاة والباز والعقاب والغراب والنعامة والظليم والأفعى والوعول والظباء , سواء اكان وصفهم لها مباشر ام عن طريق التشبيه .

وكثيرا ما يأتي وصفهم للحيوان مرتبطا بذكر الديار التي خلت فسكنتها الوحوش واطفلت فيها بعد ان نزل المطر وأينع النبت , فصارت مرتعا ومراحا , يقول زهير في ديار حبيبته :

بها العِين والآرام يمشين خلفة وأطلاؤها ينهضن من كلِ مجثم

وقد تأمل الشـعراء الجاهليون في الليل وظلامه ونجومه وسـحبه الداكنة والبرق الملتمع كانه سيوف والمطر الشديد , فافتنوا في كل ذلك . ولعل ابرز شـاعران عرفا بوصف المطر والبرق والليل هما لبيد وامرؤ القيس .

3ـــ الرثاء : هو تعبير عن خلجات قلب حزين , وفيه لوعة صادقة وحسرات , ولذلك فهو من الموضوعات القريبة إلى النفس , لان الرثاء الصادق تعبير مباشر قلما تشوبه الصنعة أو التكلف , والحياة الجاهلية حياة حرب ودماء وغارات يسقط أثرها القتلى , فيبكي الأهل والأصـحاب قتلاهم , ويثيرون ببكائهم دموع قبائلهم ويؤججون أحزانهم فيدفعونهم لشحذ سيوفهم . استعدادا لجولة جديدة تطفئ نار غيظهم .

وتلقانا في شعر الرثاء ثلاثة أنواع أو أساليب فمنه :

1ـ بكاء ونواح وعويل على الميت بألفاظ حزينة مؤلمة كثيرة الحزن تستمطر الدموع من العيون , وكان النساء يجتمعن في مناحة صاخبة , يصحب ذلك لطم على الوجوه والصدور بالأكف , ويعرف هذا الضرب من الشعر الذي يقال في هذه المناحات بـ " <u>الندب</u> " , وقد برعت النسـاء في هذا الضـرب , وصـف الربيع بن زياد احدى هذه المناحات التي أقيمت اثر مقتل مالك بن زهير فقال :

من كان مسروراً بمقتل مالكٍ فليأتِ ساحتنا بوجهِ نهارِ
يجد النساءَ حواسراً يندبْنه يلطمن اوجههن بالسحار
قد كُنَّ يخبأن الوجوهَ تسترا فاليوم قد ابرزن للنظَّـــار

وجاء الإسلام فنهى عن كل هذه الأفعال , قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية)) .

2ـــ وضرب آخر من الرثاء كان يتخذ شكل الثناء على الميت , وذكر فضائله وتعداد محامده , ويكون ذلك عند زيارتهم للقبور .
او اجتماعهم في مجلس يعقد لذكرى الفقيد , ويسمى ذلك (التأبين) , وكثيرا ما ينحلون الميت جميع الفضـائل والمثل العليا , من الشـجاعة والمروءة والتجدد وحماية الجار والحلم والحزم والسماحة والسيادة وما إلى ذلك من خصال الخير , وإذا قرانا في شعر الخنساء نجدها تبكي على أخيها هذه الخصال .

3ـــ ضرب ثالث من الرثاء يتجه إلى التفكر في رحلة الحياة ومصير الناس وحتمية الأقدار ونزول البلاء وضعف الإنسان أمام نوازل الدهر ومصائب الإنسان , فيلتمس في ذلك السـلوى والصـبر والرضـا بما نزل به عن تعزيها بكثرة من نكبوا بأهلهم وكثرة الباكين حولها اذ تقول :

فلولا كثرةُ الباكين حولي على اخوانهم لقتلت نفسي
ولكن لا أزال أرى عَجولا ونائحةً تنوحُ ليوم نحسِ
وما يبكين مثلَ أخي ولكن أُسلي النفسَ عنه بالتأسي

وقد برعت النســـاء في الرثاء ,ولعله الفن الوحيد الذي أجادت فيه المرأة , ومن يقرأ الشــعر الجاهلي يعجب لكثرة النســاء اللواتي انشــدن أشــعارا في رثاء القتلى أو التحريض على الثأر من القاتلين .

ولا شـك أن المرأة اشـد من الرجل حزنا وارق عاطفة وأكثر جزعا وأعظم لوعة , وطبيعتهن اقرب إلى الرثاء والبكاء واللوعة والأســـى , وقد تناولت المرأة في رثائها تصــوير ضــعفها وذلتها , فتتحدث الخنســاء عن شــيبها قبل أوان مشــيبها وضــعفها وجزعها وكثرة دموعها , وهي خير من صـــورت ما تلقاه في هذا , تقول في رثاء صخر :

تقولُ نساءٌ شِبتِ من غير كَبْرَةٍ وأيسرُ ممــا قد لقيتُ يُشيب
ذكرتكَ فاستعبرتُ والصدرُ كاظمٌ على غُصةٍ منها الفؤاد يذوبُ

وقد كان الرجل في الجاهلية يأتي افعالاً يشـــبه ما تأتيه المرأة من افعال الجزع والهلع من ذلك انه كان يعقر الإبل على قبر من يحب اكراما له وتحية لمثواه .

وقد كان بعضــهم يحيي رفيقه بعد موته بصــب الخمر على قبره , ولعل ذلك جاء مما يفعله الندمان عندما يشـربون الخمر على قبر صـديقهم , مثل الأعشـى الذي شـهر بالخمرة , فيقال ان رفاقه وندماءه صـــاروا بعد موته يشـــربون عند قبره , فاذا جاء نصيب الأعشى صبوا الخمر على قبره ولهذا كان قبره رطبا نديا , يقول الاسدي في رثائه لنديميه :

أصبُّ على قبريكما من مُدامةٍ فأن لم تذوقاها أُبِلُّ ثَراكما

أو أن يلجأ في استعظام المصيبة إلى المبالغة وإشراك الطبيعة في أحزانه , يقول النابغة الذبياني في رثائه حصـــن بن حذيفة الفزاري , كيف تبقى الجبال راســـخة لم تجنح للوقوع ولم تنشر القبور موتاها , ولم تسقط السماء نجومها :

يقولون حصنٌ ثم تأبى نفوسهم وكيف بحصنٍ والجبالُ جنوحُ
ولم تلفظِ الارضُ القبورَ ولم تزل نجومُ السماء والاديمُ صحيحُ

ولعل خير المراثي هي التي قالها الشـعراء في رثاء أنفسـهم عند إحسـاسـهم بدنو اجلهم في شدة أو اسر أو مرض , ومن ذلك قول المتلمس يوصي أصحابه بعد موته :

خليليَّ اما متُّ يوماً وزُحزُحتْ منایاكما فيما يزحزحه الدهــرُ
فَمُرَّا على قبري فقوما فسلما وقولا سقاك الغيثُ والقطرُ يا قبرُ

4ــ الهجاء : تعبير عن عاطفة السخط والغضب تجاه شخص تبغضه او جماعة تنتقم منها , والشــاعر الهاجي ينفس باهاجيه عما يعتلج في صــدره من ضــغائن وأحقاد , ولذلك كان الهجاء سـلاحا من أسـلحة القتال , يضـعف الشـاعر به معنوية خصـومه ويرتبط بالوعيد والتهديد والانتقاص من أقدار الخصوم والبحث في معايبهم .

ويرتبط الهجاء عادة بالحروب ويزدهر بازدهارها , وكثيرا ما يسـبقها , وكثيرا ما يختلط بالقصائد الحماسية وبخاصة الشعر الذي يتناول الهجاء القبلي .

والهجاء طبيعة في النفس الإنســانية , وقد كان الهجاء قديما أثرا من آثار حب الانتقام والتشفي والثار , وقد اختلفت وسائله وطرقه , وكان الشعر وما زال الطريقة المثلى لفن الهجاء , وكان النثر اقل اصلاحا له .

وقد كان هم الشــعراء الهجائيين الانتقاص والنيل من خصــومهم وإضــحاك الناس منهم , ولذلك كان جرير ـ وهو من اعلام الهجاء ـ يوصي بقوله :" اذا هجوت فاضحك " وقد برع في هذه الناحية ابن الرومي فقد كان يصــور خصــومه بصــور هازئة مضـحكة كما في تصـويره البخيل الذي يتنفس لتقتيره من منخر واحد , وكقول جرير في هوان تغلب :

لو ان تغلب جمَّعت أحسابها يوم التفاضل لم تزن مثقالا

ويقال ان بشـارا كان يعد اشـد ما هجى به قول حماد عجرد الذي عمد الى عنصـر الاضحاك من المهجو :

ويا اقبــحَ من قــردٍ اذا مــا عمِــيَ القــردُ

ولا شـك ان نشـأة الهجاء كانت مرتبطة بالعصـبيات القبلية , وما تثيره من حروب وأحقاد , فالشــاعر لســان القبيلة الذي يذب عنها ويهجو خصــومها , لذلك نجد الهجاء مرتبطا بالفخر من ناحية وبالمديح من ناحية ثانية , مرتبطا بالفخر حين يكون هجاءً قبلياً تحركه الحروب او رغبة في الانتقام او الثأر , ومرتبطا بالمديح حين يتوجه الشــاعر الى مديح شــخص يرجو نواله فيُعَرض بخصــم ممدوحه وينال منه , فيقيم هجاءه على عنصر المفاضلة والمخابرة , وهذا اشد الهجاء واقبحه ولذلك ولذلك حين نهى عمر بن الخطاب الحطيئة عن الهجاء المقذع ســأله الحطيئة : وما المقذع ؟ فأجاب :" أن تقول هؤلاء افضـل من هؤلاء وأشـرف , وتبني شـعرا على مدح القوم وذم لمن تعاديهم " .

وقد كان خوفهم من الهجاء وأثره في نفوســهم انهم اذا هجاهم شــاعر بســوء فأنهم يتوارون منها خجلا , لانها تلازمهم وتلصـق بسـمعتهم , من ذلك ما كان من امر بني عبد المدان الذين بارك الله لهم بســعة الصــدور وطول الاجســام وغلظها , فكانوا يفخرون بذلك على غيرهم حتى كسفهم حسان حين هجاهم بقوله :

لا بأس بالقوم من طولٍ ومن غِلظٍ جسم البغال وأحلام العصافير .

فصاروا يتوارون من الناس ويضاءلون اجسامهم خجلا من غلظها .
والهجاء الذي يبقى عالقاً في النفاس هو الذي تكون صـــياغته جميلة , ومعانيه عميقة ذات دلالة , تنال من المهجو بأسلوب ذكي طريف , كأن يتخذ طريقة الاستهانة بالخصم او تجاهله او التشكيك به كما فعل زهير بن ابي سُلمى في بل حصن حين قال :

وما ادري وسوف اخالُ ادري أقومٌ آلُ حصنٍ أم نساءُ
فان تكن النســـــاء مخبـــآتٍ فَحُقَّ لكلُ محصنةٍ هِداءُ

وقد عد النقاد هذا الشـعر من اشـد الهجاء وامضـه , مع انه ترفع عن السـباب والقذف والافحاش .
وللشـعراء في هجائهم طرق واسـاليب , فمنهم الذي يحتال في اتخاذ الوسـائل الهادئة الذكية الموجعة , كأن يهزأ بخصـمه اويسـفه رايه او يقارنه بغيره ويفضـل عليه عن طريق التلميح والتعريض , ومنهم الذي يهجم على خصـــمه فيذكره صـــراحة وينهال عليه تهديدا ووعيدا وانذارا وشتيمة , ومن الشعراء من تناول خصمه بالهجاء الساخر , فاستهزا به وتجاهل قدره وحط من شانه وانكر عليه فخره . وسلبه كل مكرمه .

واخبث الهجاء ذلك الذي يتخذ شكل المقارنة والمخابرة , فيوازن الشـاعر بين من يريد هجاءه وبين من يريد مدحه , فيجعله اقل شـــانا , وقد برع الحطيئة في هذا الضرب من الهجاء , فتراه يقول هاجيا الزبرقان بن بدر ومادحا بني انف الناقة :

ألم اكُ جاركم فتركتموني لكلبي في ديارِكُـــم عُـــواءُ
وآنيتُ العَشاءَ الى سُهيلٍ أو الشِّعرى فطال بي الاناءُ
فلما كنت جارَكم أبيتـــــم وشرَّ مواطنِ الحَسب الاباءُ
ولما كنتُ جارَهم حبوني وفيكم كان لو شئتم حِبـــاءُ

ومشهور قوله في مدح بني انف الناقة والتعريض بقوم الزبرقان بن بدر الفزاري :
قومٌ همُ الانف والاذناب غيرُهم ومن يسوي بانف الناقة الذنبا .
وضـرب بخر من الهجاء يتناول الخصـم صـراحة ويهاجمه مهاجمة سـافرة , فيوعد ويهدد وينذر ويقذف بالشتيمة الصـريحة والسـباب الواضـح , وقد يتناول هذا الضـرب الاعراض ويجاهر بالفحش والاقذاع , يقول اوس بن مغراء في هجاء بني عامر :

فلستُ بعافٍ عن شتيمـــةِ عامـــرٍ ولا حابسي عما اقولُ وعيدُهـــا
ترى الوَمَ ما عاشوا جديدا عليهم وابقى ثيابَ الابسين جديدُهـــا
لعمرك ما تبلى سرابيـــلُ عامـــرٍ من اللوم ما دامت عليها جلودُها .

ويتميز الهجاء الجاهلي بخصـائص ابرزها : قصـر قصـائد الهجاء , فأكثره مقطعات وأبيات , ويرون ان قصـر الهجاء وعفته هما اول اسباب رواجه وشهرته , والعفة امر ظاهر في هذا الشـعر فلم ينحدر الى الاقذاع والشـتم الواضـح والفحش الا الحطيئة في بعض ابياته , وشـــعرهم اقرب الى اللؤم والعتاب منه الى البذاءة والإقذاع . وقد كان النابغة بارعا في هجائه العفيف الشديد الموجع .